نشأة البحث العلمي

البحث العلمي في تاريخه القديم مرتبط بمحاولة الإنسان الدائبة للمعرفة وفهم الكون الذي يعيش فيه، وقد ظلت الرغبة في المعرفة ملازمة للإنسان منذ المراحل الأولى لتطور الحضارة..

من خلال الدراسات المتعددة تبين أن أوليات هذا المنهج العلمي وجدت في العصر الإسلامي المتقدم لدى فقهاء الصحابة، وجدت هناك جملة أفكار ودلالات تشير إلى بعض القواعد العلمية، فهناك فكرة الخاص والعام التي وضعها ابن عباس (رضي الله عنه)، ومارس بعض الصحابة فكرة (المفهوم) وموروست فكرة القياس كمحاولة قياس الأشياء بالنظائر، الأمثال بالأمثال، كذلك نجد أصول قواعد القياس وشرائط العلة، وإن الصحابة في زمن الرسول (صلى الله عليه وسلم) تكلموا في العلل إلى غير ذلك.

إن هذه العمليات الفكرية في استنباط الحكم الشرعي تشكل بمجموعها أصل منهج القياس الأصولي، وهو منه يعتمد الدليل الاستقرائي لتعليل الحكم الشرعي وعليه فاننا لو أخذنا بأصل النشأة التاريخية لذلك المنهج فان ذلك سابق على أقدم فرض تاريخي يذهب إلى إلقاء الفكر بين المنطق الأرسطي والفكر الإسلامي.

وعندما حمل المسلمون العرب شعلة الحضارة الفكرية للإنسان، ووضعوها في مكانها السليم، كان هذا إيذاناً ببدء العصر العلمي القائم على المنهج السليم في البحث، فقد تجاوز الفكر العربي الإسلامي الحدود التقليدية للتفكير اليوناني، وأضاف العلماء العرب المسلمون إلى الفكر الإنساني منهج البحث العلمي القائم على الملاحظة والتجريب، بجانب التأمل العقلي، كما اهتموا بالتحديد الكمي واستعانوا بالأدوات العلمية في القياس.

وفي العصور الوسطى بينما كانت أوروبا غارقة في ظلام الجهل كان الفكر العربي الإسلامي يفجر في نقلة تاريخية كبرى ينابيع المعرفة. ثم نقل الغربُ التراثَ الإسلامي، وأضاف إليه إضافات جديدة حتى اكتملت الصورة وظهرت معالم الأسلوب العلمي السليم، في إطار عام يشمل مناهج البحث المختلفة وطرائقه في مختلف العلوم، التطبيقية والإنسانية

فقد تمثل المسلمون المنهجية في بحوثهم ودراساتهم في مختلف جوانب المعرفة والمنهجية التي اختطوها لأنفسهم تلتقي كثيراً بمناهج البحث الموضوعي في عصرنا، وشهد بذلك كثير من المستشرقين الذين كتبوا مؤلفات يشيدون فيها بما يتمتع به العلماء المسلمون من براعة فائقة في منهج البحث والتأليف

وذكروا أن الدراسات المقارنة للمنهج العلمي الحديث والمنهج الذي سار عليه المسلمون في مجال علوم الطبيعة والكون أثبتت أن المنهج العلمي الحديث وأسلوب التفكير المنطقي قد توفر لدى علماء المسلمين في بحوثهم واكتشافاتهم في مجال الطب والكيمياء والصيدلة وعلوم الكون وبقية فروع العلم التطبيقي)

وهكذا يتبيَّن لنا أن السبق في البحث العلمي من حيث النشأة والبداية كان للمسلمين.

خصائص البحث العلمي:

للبحث العلمي جملة من الخصائص والمميزات التي تميزه عن غيره من الكتابات والتآليف والتقارير والتصانيف والمكتوبات ، فلا تكون الكتابة متصفة بالعلمية إلا إذا جرت على نمط وقواعد وتوفرت فيها المواصفات العلمية التي من أهمها:

أولا: النظام والدقة والضبط

البحث العلمي نشاط عقلي منظم ومضبوط ودقيق ومخطط, حيث يستند التفكير العلمي إلى منهج معين في تحديد المشكلة واختيارالفروض واختبارها وفق قواعد منطقية . فتكون المشكلات والفروض والملاحظات والتجارب والنظريات والقوانين, قد تحققت واكتشفت بواسطة جهود عقلية منظمة ومهيأة جيدا لذلك, وليست وليدة مصادفات أو أعمال ارتجالية .

ثانيا : الموضوعية:

البحث العلمي بحث موضوعي يتجرد فيه الباحث عن أهوائه وميوله ومواقفه وعواطفه ، ويتبع الأدلة والبراهين لا ينحاز ولا يحابي ، ولا يسعى لنصرة مذهب أو رأي مسبق.

ثالثا : التصنيف :

والبحث العلمي يتميز بالتصنيف والتقسيم حتى يسهل فيه التعامل مع الأنواع والفئات والبيانات والأقسام والأصناف المختلفة ثم بيين العلاقات والأحكام بين الأقسام والأصناف المختلفة

رابعا التراكم :

والبحث العلمي يوصف بالتراكمية لأن الباحث يبني على الجهود السابقة ، ويبدأ من حيث انتهى الآخرون ، فالمعارف الإنسانية يقوم بعضها على بعض ، ومن هنا نجد الإشارة إلى الدراسات السابقة في جميع البحوث العلمية

خامسا: البحث العلمي بحث نظري:

لأنه يستخدم النظرية لإقامة وصياغة الفرض, الذي هو بيان صريح يخضع للتجارب والاختبار

سادسا: البحث العلمي بحث تجريبي:

والبحث العلمي يقوم على أساس إجراء التجارب والاختبارات على الفروض, والبحث الذي لا يقوم على أساس الملاحظات والتجارب لا يعد بحثا علميا. فالبحث العلمي يؤمن ويقترن بالتجارب.

سابعا: الحركية والتجديد

والبحث العلمي متحرك ومتحدد ،لأنه ينطوي دائما على تجديد وإضافات في المعرفة, عن طريق استبدال متواصل ومستمر للمعارف القديمة بمعارف أحدث وأجد.وهذا ما يعرف عندهم بالدورية ، حيث الوصول إلى حل مشكلة ، يقود إلى ظهور مشكلة أخرى يتناولها الباحث نفسه أو تكون موضوعا لباحث آخر يبدأ من حيث انتهى الآخرون ثم ينطلق .

ثامنا: البحث العلمي بحث تفسيري:

والبحث العلمي يستخدم المعرفة العلمية لتفسير الظواهر والأشياء بواسطة مجموعة من المفاهيم المترابطة تسمى النظريات.

تاسعا: التعميم

البحث العلمي بحث عام ومعمم :لأن المعلومات والمعارف لا تكتسب الطبيعة والصفة العلمية, إلا إذا كانت بحوثا معممة وفي متناول أي شخص, مثل الكشوف الطبية.

عاشرا: السببية:

ونعني بسببية البحث العلمي أن أحداثه ووقائعه يقود كل منها إلى الآخر ، فحدوث شيء منها يؤدي إلى حدوث الشيء الآخر .

حادي عاشر: الترابط:

البحث العلمي مترابط الأجزاء ، لكل جزء منه علاقة بما قبله وما بعده ، وليس هو معلومات مبعثرة ، ولا هو حقائق مفككة لا رابط بينها ، بل هي مترابطة تسير في نسق واحد